أثر عمليات الهجرة على تغيّر التركيبة السكانية في ليبيا إبان فترة الاحتلال الإيطالي 1911-1943

دراسة إحصائية تحليلية

د. ليلى علي العاتي* د. أحمد رافيذي صالح**
***معهد الدراسات الماليزية والدولية (IKMAS)**
****الجامعة الوطنية الماليزية (UKM)**

ملخص:

يهدف هذا البحث إلى بيان ودراسة أثر عمليات الهجرة إبَّان فترة الاحتلال الإيطالي على تغيّر التركيبة السكانية في ليبيا. وعلى وجه التحديد، فإنه يدرس مدى مساهمة هذه العمليات في انخفاض عدد السكان من حيث العمر والجنس ذكور وإناث، وتراجع معدلات النمو السكاني، وتأثير ذلك على تغيّر التركيبة السكانية. ولتحقيق هذا الهدف تم استخدام المنهج الوصفي التاريخي في جمع وتحليل البيانات والمعلومات ذات الصلة. وقد أظهرت نتائج البحث أن عمليات

الهجرة ساهمت سلباُ وبشكل كبير في تغيّر التركيبة السكانية في ليبيا من الناحية النوعية والعمرية، حيث ادت الى تناقص عدد السكان إلى حد كبير من الجنسين الذكور والإناث ومن مختلف الأعمار، فضلاً عن الانخفاض الكبير في معدلات النمو. حيث كان العدد الاكبر من المهاجرين من فئة البالغين بينما كانت فئة صغار العمر هي الاكثر تضرراً. ويعتبر هذا البحث استكمالاً للدراسات السابقة ومحاولة لسد الفجوة في الأدب من خلال وضع وتطوير إطار مفاهيمي لتقييم أثر عمليات الهجرة الناتجة عن الاحتلال الإيطالي على تغير التركيبة السكانية استناداً على نظرية التحول الديموغرافي. كما يقدم هذا البحث اسهامات مفيدة للمعرفة الحالية من خلال توفير مزيد من التوضيحات الهامة عن تأثير الحروب والنزاعات على التركيبة السكانية بشكل عام، وفي ليبيا بشكل خاص. كما أنه يفتح الآفاق لمزيد من البحث والدراسة فيما يتعلق بالتركيبة السكانية في ليبيا وأثر عمليات الاحتلال الإيطالي الأخرى وغيرها من العوامل على السكان في ليبيا.

1.1 تمهيد:

تعتبر عمليات الهجرة، والنزوح الناجمة عن الحروب والنزاعات احدى العوامل المؤثرة على تغير التركيبة السكانية للبلدان من الناحية العمرية والنوعية. لقد تعرضت ليبيا وهي احدى الدول النامية للاحتلال من قبل إيطاليا في الفترة ما بين (1911م–1943م) مما ترتب على ذلك عمليات هجرة ونزوح كبيرة للسكان الليبيين بسبب وحشية العدوان، الى الدول المجاورة تونس ومصر وتشاد، والسودان والنيجر والجزائر وبعض الدول الاخرى. وقد أشارت العديد من المصادر التاريخية إلى أن عمليات الهجرة لليبيين ابَّان فترة كان سبباً رئيسياً في تناقص عدد السكان في ليبيا، كما أوضحت تلك المصادر أن الهدف الأول والأساسي لعمليات الاحتلال

الإيطالي التي تعرضت له ليبيا كان هو تفريغ ليبيا من سكانها الأصليين، وتـوطين الإيطـاليين مكانهم؛ فعلى سبيل المثال ذكرت الإحصائيات التاريخية أن عدد سكان ليبيا سـنة 1911م قبـل الاحتلال الإيطالي بلغ 1,5 مليون نسمة، إلا أنه تناقص إلى حوالي النصف فـي خـلال فتـرة الاحتلال الإيطالي التي امتدت إلى أكثر من ثلاثة عقود، وذلك بسبب العمليـات الناجمـة عـن الاحتلال الايطالي ومن بينها عمليات الهجرة والنزوح التي تعرض لها السكان الليبيين.[(1)]

ويمكن القول بان ليبيا تعرضت إلى حملة منسقة لإبادة وتهجير شعبها والسـيطرة علـى مقدراتها كانت هي الأبشع في شمال أفريقيا. وهذا ما يمكن ملاحظته اليوم حيث ليبيا تعتبر مـن الدول الأقل سكاناً مقارنة بالدول الأخرى في المنطقة حيث لا يتجاوز عـدد سـكانها 6 مليـون نسمة، يتواجدون على مساحة كبيرة تصل مليون وسبعمائة وخمسين ألف كيلومتر، متمركـزين بشكل أساسي في الشريط الساحلي، الممتد قرابة الألفين كيلومتر على الساحل الجنـوبي للبحـر الأبيض المتوسط[(2)]. إن السياسة الإيطالية المتبعة إبّان فترة الاحتلال ادت إلى تـدني مسـتويات التعليم والصحة والمعيشة لليبيين بشكل كبير؛ الأمر الذي أدى إلى عمليات هجرة ونزوح لـلاف الليبيين خارج البلاد. حيث لم يتحصل الليبيون في تلك الفترة على التعليم المناسب، ولم يتمتعـوا بالظروف الصحية والمعيشية المناسبة، بسبب قلة المدارس والمرافق الصحية والتنمويـة، التـي تعتبر من الركائز الأساسية لبنـاء أي مجتمـع، والنهـوض بـه والمحافظـة علـى تركيبتـه السكانية[(3)].كما سيطرت إيطاليا على كافة مقدرات الليبيين، من أراضـي زراعيـة وممتلكـات ومرافق أساسية وأعمال تجارية، من خلال عمليات الاستيطان التـي شـملت كافـة النـواحي الاقتصادية، كالزراعة والتجارة والأعمال المصرفية؛ مما أدى إلى سوء معيشة السكان الليبيـين، وكان هذا سبباً أخر لهجرة العديد من السكان الليبيين من بلادهم وتناقص معدلات الزيادة السنوية لهم.[(4)]

2.1 مشكلة البحث:

بالرغم من أهمية وتأثير عمليات الهجرة إبّان فترة الاحتلال الإيطالي على ليبيا بشكل عام وعلى سكانها بشكل خاص، إلا أنه لا توجد دراسات أو معلومات كافية ودقيقة توضح وتبين مدى تأثير هذه العمليات على تغيرّ التركيبة السكانية في ليبيا سواء من الناحية النوعية والعمرية، حيث إن الدراسات والأبحاث السابقة لم تتناول هذا الموضوع بشكل كافٍ وركزت في معظمها على دراسة الجوانب التاريخية والأسباب التي أدت إلى تلك الهجرة خلال فترة الاحتلال بدلاً من التركيز على تأثير عمليات الهجرة على تغير التركيبة النوعية والعمرية للسكان في ليبيا؛ مما ترتب عليه نقص في المعلومات و الإحصائيات المتعلقة بالتغير الديموغرافي في ليبيا، وإخفاء الكثير من الحقائق والمعلومات المتعلقة بالأضرار التي لحقت بالتركيبة السكانية لليبيا من جراء عمليات الهجرة الناجمة عن الإحتلال الإيطالي؛ وبالتالي فإن مشكلة الدراسة تتبلور في محاولة التعرف على أثر عمليات الهجرة خلال حقبة الاحتلال الإيطالي في تغير التركيبة السكانية لليبيا؛ وبناء على ذلك فإن السؤال الرئيس لهذا البحث يمكن صياغته على النحو التالي:

- **ما أثر عمليات الهجرة الناجمة عن الاحتلال الإيطالي على التركيبة السكانية لليبيا من حيث النوع والعمر؟**

3.1 هدف البحث:

الهدف الأساسي لهذا البحث هو الحصول على فهم أفضل لأثر عمليات الهجرة الناجمة عن الاحتلال الإيطالي على تغير التركيبة السكانية لليبيا وذلك من الناحية النوعية والعمرية.

4.1 أهمية البحث:

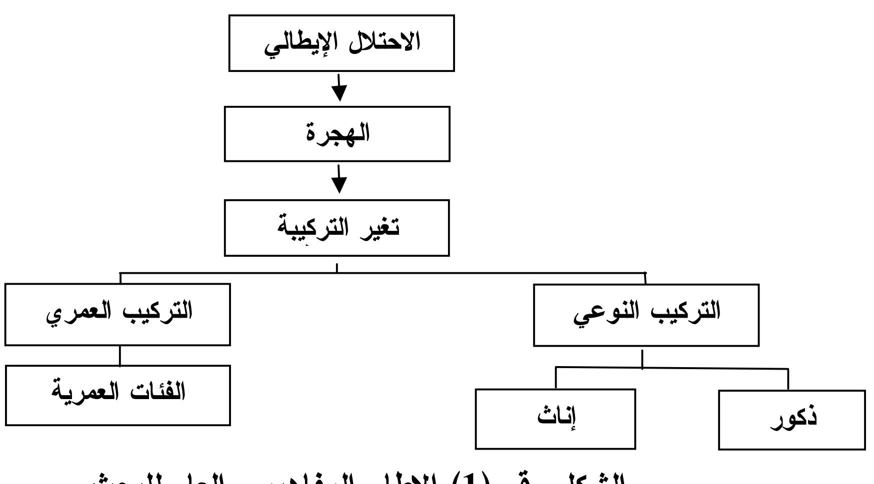
أهمية هذا البحث تنبع من أنها يتناول مرحلة مهمة من تاريخ ليبيا الحديث ويساهم في التعرف على الأضرار والتغيرات التي لحقت بالتركيبة السكانية خلال فترة الاحتلال الإيطالي

بسبب عمليات الهجرة والنزوح الجماعي. وبالتالي فهو يساهم في زيادة المعرفة الحالية عن هـذا الموضوع، ويقدم معلومات يمكن الاستفادة منها من قبل العديد من المؤسسات في ليبيا مثل الهيئة العامة للتوثيق والمعلومات ومركز جهاد الليبيين والجامعات ومراكز البحوث والدراسات المهتمة بدراسة تاريخ وسكان ليبيا. كما يعد هذا البحث استكمالاً لجهود الباحثين والمهتمين والدراسـات السابقة ذات الصلة التي ركزت على الناحية التاريخية اكثر من الناحية الديموغرافية.

5.1 منهج البحث:

لتحقيق هدف البحث في التعرف على أثر عمليات الهجرة الناجمة عن الاحتلال الايطالي على تغير التركيبة السكانية في ليبيا؛ فقد تم استخدام المنهج التاريخي لتتبـع تطـور الظـاهرة السكانية قيد البحث على مدار سنوات الدراسة (1911م-1943م) كما تـم الاسـتعانة بـالمنهج الوصفي في رصد جوانب الظاهرة السكانية وتفسيرها وتحليلها، اعتماداً علـى مجموعـة مـن المصادر والمراجع ذات الصلة[5]. بالإضافة الى استخدام نظريـة التحـول الـديموغرافي لـ ونوينكلير كإطار وأساس نظري لهذا البحث لتحليل التغيرات الديموغرافيه مـن وجهـة نظـر تاريخية[6]. وتنص هذه النظرية على "أن هناك مجموعة واسعة من العوامل المهمة التـي تـؤثر في حركة الخصوبة وتفسير اتجاهات نمو السكان وبنيتهم الديموغرافية، ومن بين هذه العوامـل الحروب والنـزاعات[7]. ووفقا لهذه النظرية فان الحروب والنزاعات وما ينتج عنها من عمليات هجرة ونزوح قد تؤدي إلى تغير الوضع الديموغرافي للسكان في بلد معين وذلـك مـن خـلال انخفاض في معدلات الخصوبة، وما يترتب على ذلك من انخفاض في عدد المواليد ممـا يـؤثر سلباً على معدلات النمو السكاني الأمر الذي يؤدي بدوره إلى تغير في التركيبة السكانية". فعلـى سبيل المثال ذكر نوتيستين عام 1945م أن عمليات النزوح والهجرة التـي صـاحبت الحـرب العالمية الثانية كان لها دور كبير في انخفاض حاد معدلات الزيادة الطبيعيـة فـي أوروبـا[8].

وبالتالي يمكن الاستفادة من نظرية التحول الديموغرافي شرح العلاقة بين معدل الولادات ومعدل الوفيات وتفسير معدلات النمو السكاني وتغيّر التركيبة السكانية في ليبيا بسبب عمليات الهجرة خلال فترة الاحتلال الإيطالي وبناء الإطار المفاهيمي العام لهذا البحث كما هو مبين في الشكل رقم (1).



الشكل رقم (1) الإطار المفاهيمي العام للبحث

6.1 حدود البحث:

يتناول هذا البحث بالأساس دراسة تأثير عمليات الهجرة على تغير التركيبة السكانية في ليبيا خلال فترة الاحتلال الإيطالي الممتدة من سنة 1911م إلى1943م.

7.1 الدراسات السابقة:

من خلال مراجعة الدراسات السابقة، يلاحظ أن معظم هذه الدراسات اهتمت بشكل أساسي بدراسة أسباب الهجرة وأعداد المهاجرين وأوضاعهم، فعلى سبيل المثال ركزت دراسة قناوي 1993م[9]على أنواع الهجرة والفترات التي حدثت فيها عمليات الهجرة، وأعداد

المهاجرين إلى الدول المجاورة، والعوامل الداخلية والخارجية التي أدت إلى هجرة الليبيين إلى البلدان المجاورة، ولكن لم تبين أثر الهجرة على تغير التركيبة السكانية وحجم الأسرة، في حين ركزت دراسة ارحومة 1998م[10] في الجزء الثاني على هجرة الليبيين إلى البلدان العربية والإسلامية، وأسباب هجرتهم، والدور الذي قام به المهاجرون الليبيون في تلك الدول، وتطرق لذكر أعداد المهاجرين الليبيين إلى الدول المجاورة في حين أنه لم يبين أثر عمليات الهجرة التي حدثت فترة الاحتلال الإيطالي على تغير التركيبة السكانية. من جانب آخر تناولت دراسة السيدة أبو القاسم 2007م[11] أسباب الهجرة الداخلية والخارجية الناتجة عن الجوع والعطش والتسول وانتشار الأمراض والأوبئة، كذلك بينت دراسة الطوير 1983م[12] أعداد المهاجرين الليبيين إلى الدول المجاورة بسبب الاحتلال الإيطالي. وعلى الرغم من أن هذه الدراسات تضمنت الكثير من المعلومات المهمة المتعلقة بعمليات الهجرة والتي يمكن الاستفادة منها في هذا البحث إلا أنها تعتبر قليلة نظراً لأهمية هذا الموضوع بالنسبة لدراسة السكان في ليبيا كما أن هذه الدراسات لم تغط كافة الآثار الناجمة عن الهجرة وخاصة تلك المتعلقة بموضوع السكان، وبالتالي فإن هناك ضرورة ماسة لإجراء المزيد من البحوث والدراسات لبيان ودراسة تأثير عمليات الهجرة التي حدثت فترة الاحتلال الإيطالي على تغير التركيبة السكانية.

8.1 مفهوم الهجرة وأسبابها:

يقصد بالهجرة انتقال الأفراد من منطقة ما إلى منطقة أخرى سواءكان ذلك داخل حدود الدولة، وهو ما يطلق عليها الهجرة الداخلية، أو الهجرة خارج حدود الدولة ويطلق عليها الهجرة الخارجية. وقد تتم الهجرة بشكل قانوني، أو من خلال تسرب المهاجر إلى الدولة المقصودة بطرق غير شرعية، مثل ادعاء الدخول بغرض الزيارة ثم الاستمرار في البقاء داخل الدولة

بهدف العمل[13]. وتعتبر الهجرة السكانية ظاهرة قديمة تحدث في مجتمعات كثيرة، وقد تكون إما هجرة داخلية أو هجرة خارجية، ولها عدة أسباب اقتصادية واجتماعية وسياسية، وهنا يمكننـــا أن نميز نوعين من الهجرة هما الهجرة الاختيارية والتي تحدث طواعية ويقوم بها الناس من مكـــان لآخر في نطاق حدود الدولة الواحدة من منطقة إلى أخرى ويقصـــد بهـــا الهجـــرة المحليـــة أو الداخلية، أما الهجرة الثانية فهي تحدث بصفة قسرية وتسمى التهجير[14].

9.1 علاقة الهجرة بالتركيبة السكانية:

تعد الهجرة أحد العناصر الثلاثة المسؤولة عن التغير السكاني في مجتمـــع مـــا، وهـــي الخصوبة والوفيات والهجرة وتختلف الهجرة عن هذين العنصرين من عدة جوانب. فعلى العكس من كل من الخصوبة والوفيات التي يسهل جمع بيانات عنهما ومن ثم قياسهما بشكل دقيق، فـــإن الهجرة يصعب قياسها بمثل تلك الدرجة من الدقة لأن تدفق المهاجرين لا يتســـم بالثبـــات مـــن الناحية الزمنية، ومن ثم تقل معلوماتنا عن الهجرة بالمقارنة بالخصـــوبة والوفيـــات. كمـــا تعـــد الهجرة من الظواهر السكانية الكفيلة بتغير الهيكل السكاني لأي مجتمع بصـــورة ســـريعة جـــداً بالمقارنة بآثار كل من الخصوبة والوفيات على الهيكل السكاني، والتي تحتاج إلى فتـــرة طويلـــة جداً من الزمن لكي تؤدي إلى تغير الهيكل السكاني. كما تعد الهجرة من الموضوعات الســـكانية التي نالت قدراً كبيراً من الدراسة، وعادة ما تدور تحليلات الهجرة حول كونها تتم بـــين الـــدول (هجرة خارجية)، أو داخل حدود الدولة (هجرة داخلية[15]). بالإضافة الى ذلك فهي تعتبـــر أحـــد الجوانب الهامة في جغرافية السكان وهي تمثل أحد عوامل التغير السكاني في مختلـــف الأقـــاليم الجغرافية، مهما تباينت أوزانها السكانية، ومساحاتها الأرضية وبالتالي فهي توثر في نمو السكان وتغيرات خصائصهم المختلفة، وهي ظاهرة ارتبطت بها حياة الإنسان منذ القدم في إعادة توزيع

السكان بين مناطق الغنى ومناطق الفقر، وبين مناطق التنازع ومناطق الأمـــن، وبـــين منـــاطق الكوارث ومناطق الاستقرار، وتوصف الهجرة بأنها ظاهرة جغرافية ارتبطت بها حياة الإنســـان على مر العصور، نتيجة لعدة عوامل تعكس عدم رضا الفرد عن مكان إقامته الأصلي، فهجـــرة الناس كأفراد أو جماعات، بصورة دائمة أو مؤقتة، من مكان إلى أخر داخل الحـــدود السياســـية للبلد الواحد أو من بلد إلى آخر، ظاهرة تحدث ومازالت تحدث في كل زمـــان ومكـــان، وهـــذه الظاهرة تتغير في حجمها واتجاهاتها وأنماطها وطبيعتها وأسبابها ودوافعها، من وقت لآخر ومن مكان لآخر.(16)

وقد شهدت فترة ما بعد الحرب العالمية الأولى مولد الهجرة القسرية من جديـــد بعـــد أن انتهت بتحريم تجارة جلب العبيد، وتتميز هذه الهجرات بأن السبب الأساسي فيها ينصـــرف إلـــى عوامل خاصة بدول الأصل، وليس برغبة الدول المستقبلة في اســـتقدام الســـكان، كـــذلك فـــإن الأسباب الأساسية لها تتمثل في الأسباب العرقية والأيديولوجية وليس للأسباب الاقتصادية. وهذا مانحن بصدد دراسته بالفعل هذا ما حدث للسكان الليبيين نتيجة لعوامـــل سياســـية واقتصـــادية واجتماعية وعسكرية بسبب الاستعمار الإيطالي، وذلك منذ أن وطأة أقدام الإيطاليين ليبيا في سنة 1911م إلى سنة 1943م عقب أسر المجاهد عمر المختار وانتهاء المقاومة المسلحة نهائياً.(17)

10.1 عمليات الهجرة الناجمة عن الاحتلال الإيطالي:

لقد تعرض الشعب الليبي خلال فترة الاحتلال الإيطالي إلى ضغوط عسكرية وسياســـية واقتصادية واجتماعية ودينية أدت إلى هجرة الكثير من الليبيين إلى الأقطـــار المجـــاورة وهـــي تونس والجزائر ومصر وتشاد والنيجر والسودان وغيرها من الأقطار الاخـــرى مثـــل ســـوريا وتركيا. غير أن عملية الهجرة إلى تلك الدول لم تحدث في فترة زمنية واحدة وإنما حدثت علـــى

فترات متباينة ولكنها ليست متباعدة ولا يمكن أن نضع تواريخ محددة توضح لنا بصفة قاطعة حوادث هجرة الليبيين إلى الأقطار المجاورة بل سيتم توضيح بعض التواريخ التي لها علامة بارزة في مجريات الأمور العسكرية والسياسية على الساحة الليبية.[18] فمثلا يحدد بعض المؤرخين الفترة الأولى لهجرة الليبيين من عام 1911م وحتى عام 1916م وفي هذه الفترة حدثت عدة وقائع لها أثر مباشر في تلك الهجرة، منها على سبيل المثال الانتصارات الباهرة التي حققها المجاهدون على الغزاة الإيطاليين، جعلت أولئك الغزاة الايطاليين يصدرون نداءاتهم وبياناتهم التحذيرية للمواطنين الليبيين ويشددون من حصارهم للمناطق الساحلية في عدة معارك خاضوها في كل من طرابلس وبنغازي ومصراته ودرنة وطبرق وزليطن والخمس. وقد استمر صمود المجاهدين في معركتي سبها والقرضابية فترة من الزمن حتى أحرزوا انتصارات باهرة كانت السبب في وقف العمليات العسكرية فترة من الزمن. ونظراً لعدم تمكن القوات التركية المرابطة بليبيا من منع الإيطاليين من احتلال المدن الساحلية، فقد هب المجاهدون الليبيون للمشاركة في المقاومة ليتمكنوا من ايقاف المد الإيطالي مدة من الزمن[19]. وعند طرح بنود معاهدة أوشي لوزان والتي تقر بأن لإيطاليا الحق في ليبيا وانسحاب الأتراك منها، ورفض زعماء القبائل الليبية ذلك وواصلوا المقاومة، فأيدتهم الدول العربية في كفاحهم ومقاومتهم للاستعمار الإيطالي، واحتجوا على ما قام به الإيطاليون ضدهم، وأسهمت في قبول الليبيين كمهاجرين إلى البلدان العربية التي قصدوها، واستطاعوا أن يزاولوا بعض النشاطات السياسية فيها، ويعملوا على شجب الأعمال الإيطالية بالخارج والتي قاموا بها ضد المجاهدين، الأمر الذي جعل الغزاة يعملون على تهدئة الوضع، وطمأنة السكان عن طريق المناشير والدعاية التي كانوا يوزعونها، ويذكرونهم أنهم جاءوا لتحضيرهم ورفاهية بلادهم، فهدأت الحالة بعض الوقت، لكنها لم تدم طويلاً[20]. لذلك قام الإيطاليون بعمليات النفي لمن يدور حوله الشك، وبمحاصرة

المواطنين الخاضعين لسيطرتهم فعمل الناس على الهجرة إلى البلدان العربية والإسلامية، وفي نفس الوقت كانت الدول العربية واقعة تحت الهيمنة الاستعمارية مسيطراً عليها سياسياً وعسكرياً هذا ما أثر على نشاطها سلباً. وعندما نقضت إيطاليا جميع المعاهدات وألغت المواثيق التي أبرمتها مع زعماء القبائل أرادت السيطرة على البلاد باستعمالها كافة الوسائل، فلم يبقى أمام الرافضين للاحتلال إلا الهجرة أو التعرض للمساءلة من قبل السلطات الإيطالية الفاشستية، حيث شددت الحصار عليهم في الداخل والخارج ومنع تسرب الدعم إليهم، ولما كثر المهاجرون في البلدان التي قصدوها عملت على مطاردتهم، ومراقبة نشاطاتهم عن طريق القنصليات المعتمدة في الدول التي قصدها المهاجرون مثل مصر وتونس وبلاد الشام. حيث خرج في تلك الفترة عدد كبير من المواطنين إلى تونس بعد معركة جندوبة سنة 1913م من قيادات ووجهاء وأعيان ومحاربين وشرائح عريضة من مختلف الفئات[21].

كذلك تعرضت البلاد إلى أسوء حالة اقتصادية إبَّان الحرب العالمية الأولى تمثلت في حالة من الجفاف الشديد الذي ساد البلاد فترة من الزمن فانعدمت المحاصيل الزراعية وانتشرت الأوبئة والأمراض الفتاكة، وكان على المجاهدين أن يخوضوا حربهم مع الطغاة والكوارث الطبيعية التي أصابت البلاد، فالجفاف الشديد الذي كان سببا في انعدام المحاصيل لمدة سنتين متواليتين وزادت الأحوال بؤساً بهجوم الجراد الذي قضى على المزروعات فعمت المجاعة وانتشرت الأوبئة الفتاكة، ونتيجة لتلك الظروف اتجه عدد آخر عن طريق القوافل البرية إلى مصر سنة 1916م كان من بينهم صحفيون وموظفون وشيوخ ونساء وأطفال وعلماء[22]. ومن بين الأسباب الاخرى التي أدت إلى الهجرة هي سوء الظروف المعيشية والجفاف من جهة أخرى، وما ترتب عليه من انتشار أمراض فتاكة كالجذري والبلهارسيا والطاعون الذي كان

أخطرها في عام 1913م والذي كان أحد أسبابها قدوم جنود من الحبشة إلى ليبيا بداية الغزو الإيطالي، ونقص الوعي الصحي وانعدام الرعاية الصحية، والجهل بأسباب المرض وانتقاله[23].

إن وجود الجاليات الليبية في أكثر من بلد في كل من أفريقيا وأسيا يعتبر أكبر دليل على مدى نزوح السكان بعد أن ضاقت بهم سبل الحياة وما كانت عليها من ظروف صعبة أثناء فترة الاحتلال الإيطالي، فالهجرة الجماعية لليبيين لاقت استحساناً من السلطات الاستعمارية الإيطالية؛ وهذا ما أدلى به العميد بادوليو عندما قرر عدم البحث عن إيجاد طريقة لعودة اللاجئين وقال أن ضياعهم إلى الأبد أفضل لنا[24]. وفي سنة 1932م، زادت حركة الهجرة وخاصة للزعماء الليبيين خارج الوطن عندما أعلن بادوليو الحاكم العام على ليبيا بتصريح رسمي على نهاية المقاومة في ليبيا واعترف وللمرة الأولى وبعد عشرين سنة من نزول الإيطاليين على الأرض الليبية تم احتلال مستعمرتي طرابلس الغرب وبرقة وتهدئتهما،[25]. وقد استقر معظم الليبيين المهاجرين في القرى والمدن المتاخمة لحدود بلادهم فعملوا بالزراعة والرعي والتجارة والحراسة وبعض الأعمال اليدوية وأعمال البناء والتشييد والشحن والتفريغ والبعض الأخر اتجه إلى المدن الكبرى حيث تتوفر المساجد ومعاهد التعليم الشهيرة كجامع الأزهر في مصر وجامع الزيتونة في تونس والأموي في دمشق، واستقر معظم الليبيين في تونس واشتغلوا بالتجارة وأرسلوا أبناءهم لتعلم العلوم الشرعية في جامع الزيتونة[26].

11.1 أثر عمليات الهجرة إبَّان فترة الاحتلال الإيطالي على تغير التركيبة السكانية في ليبيا من حيث النوع والعمر:

كما ذكر آنفاً فقد كان للاحتلال الإيطالي دور في تشتيت شمل الليبيين وتشريدهم وحرمانهم من أرضهم إبَّان فترة الغزو الإيطالي لبلادهم وذلك نظراً لتعرضهم إلى ظروف

قاهرة كانت دافعاً قوياً لهجرتهم إلى العديد من الدول. حيث تعرض الليبيين الى ضغوط عسكرية وسياسية، واقتصادية واجتماعية ودينية، بالإضافة الى الاستيطان البشري المكثف، واستيلاء الإيطاليين على أراضي الليبيين، وكذلك خوف السكان من بطش الإيطاليين والتنكيل بهم ونفيهم إلى الجزر الإيطالية أو اعتقالهم في المعتقلات بالإضافة إلى تردي الأوضاع الصحية والمعيشية بسبب الاحتلال الإيطالي. ولذلك تعتبر عملية الهجرة هي إحدى العمليات التي صاحبت الغزو الإيطالي وما تبع ذلك من سنوات حرب دامية كان تأثير كبير على السكان الليبيين.

كما أن عملية الهجرة لم تتم في وقت واحد وبصفة جماعية وفي ظروف واحدة وكذلك اختلفت المصادر والدراسات السابقة حول العدد الإجمالي للمهاجرين الليبيين إلى الدول المجاورة هذا ما أوضحه الطاهر الزاوي، حيث أشار إلى أن من هاجر إلى مصر لا يقل عددهم عن 14 ألفاً، في حين أن من هاجروا إلى تونس يصل عددهم إلى 20 ألفاً.[27] بينما أشار حسن خشيم إلى أن تعداد الليبيين الذين هاجروا بسبب الاستعمار الإيطالي إلى مصر كان 100 ألف، وإلى تركيا 10آلاف، وإلى الشام أيضاً 10 آلاف، وإلى تونس 20 ألفاً، بينما ذكر محمود الشنيطي أن عدد المهاجرين الليبيين يقدر بنحو 200 ألف مهاجر[28]، وهوما أثر بالتالي في الحياة بشكل عام سواء في المدينة أو البادية والريف. وهذا يتفق مع ما ذكره شكيب أرسلان في إحدى مقالاته حول الهجرة، بأن 175 ألف مواطن ليبي منهم 60 ألف مهاجر إلى تونس و15 ألف مهاجر إلى الجزائر، أما عون سوف فقد أشار إلى أن عدد المهاجرين الليبيين الذين توجهوا للأقطار العربية كان حوالي 100 ألف نسمة[29].

مما سبق يتبين أن أعداد المهاجرين الليبيين إلى الأقطار العربية والإسلامية كانت كبيرة بالنسبة لعدد السكان القليل لليبيا؛ وبالتالي فقد كان لها تأثير واضح على تغير التركيبة السكانية فيها، كما ان الذين هاجروا كان أغلبهم من فئات متوسطي العمر، وهي الفئة التي تعتمد عليها

أي دولة في العالم في زيادة معدل النمو السكاني[30]. إن عمليات الاحتلال الإيطـــالي أدت إلـــى تناقص عدد السكان بطريقة منهجية، حيث تم تفريغ الأراضي الزراعية من ســـكانها وابعـــادهم، وحل الإيطاليون بدلاً منهم، هذا الاستبعاد والتهجير كان لعـــائلات بأكملهـــا[31]؛ ممـــا أدى إلـــى انخفاض عدد المواليد في البلاد وزيادة نسبة الوفيات؛ وبالتالي إلى نقص كبير في عدد الســـكان، وهو ما تبين في الاحصائيات التي اجريت لاحقاً في عامي 1954م و 1964م والتي يشير إلـــى أن عمليات الهجرة التي نتجت عن الاحتلال الإيطالي كان لها دور مباشـــر وكبيـــر فـــي تغيـــر التركيبة السكانية في ليبيا، وذلك من خلال انخفاض عدد السكان الذين تتراوح أعمارهم ما بـــين (15-64سنة) مما أثر سلباً على معدلات الخصوبة والإنجاب لدى السكان الليبيين ومن تـــم أدى إلى انخفاض معدلات النمو السكاني في تلك الفترة ولا يزال تأثيره ماثلاً إلى الوقـــت الحاضـــر. حيث يتضح من إحصاء 1954م أن نسبة معدلات المواليد كانت27%، وارتفعت هذه النسبة إلى 45% عام 1964م، مما يشير إلى عودة المهاجرين من ديار الهجرة كما أن متوسط عدد أفـــراد الأسرة الواحدة كان في سنة 1954م 3 إلى 4 أفراد، وهذا العدد يعتبر صغير، والسبب في قلـــة عدد أفراد العائلة هو غياب الرعاية الصحية والمعيشية وارتفاع معدلات الوفيات وما نـــتج عـــن ذلك من عمليات الهجرة في فترة الاحتلال الإيطالي، وذلك بمقارنة مع حجم الأسر الليبيـــة فـــي التعدادات التي أجريت لسكان ليبيا في السنوات اللاحقة للاحتلال الإيطالي، حيث يلاحظ ارتفـــاع عدد أفراد الأسرة الليبية إلى ما بين 4إلى 6 أفراد، وذلك خلال إحصاء 1964م وهذا يعتبر دليل على عودة المهاجرين إلى ليبيا، ويبين الجدول رقم (1) الزيادة في عدد أفراد الأسرة فـــي كـــل تعداد.

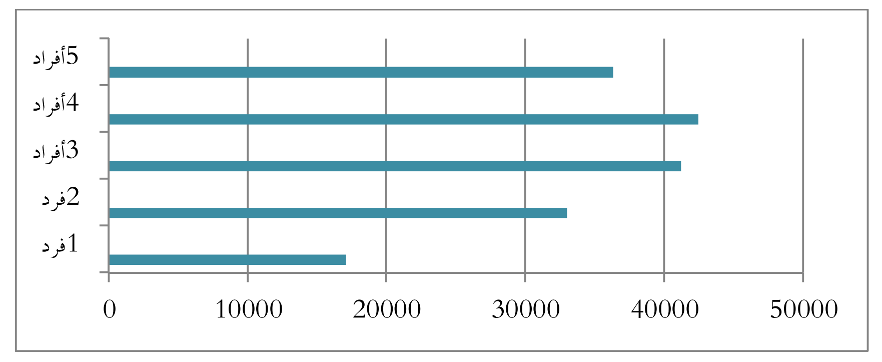
الجدول رقم (1) متوسط حجم الأسرة الليبية ما بين 1954م-2006م[32].

سنة التعداد	متوسط حجم الأسرة الليبية
1954	4.6
1964	4.8
1973	6
1984	6.8
1995	6.9
2006	6

ومن خلال الجدول السابق يلاحظ أن هناك تناقص في عدد أفراد الأسرة الليبية في أول تعداد سكاني بعد فترة الاحتلال الإيطالي والحرب العالمية الثانية، وهذا يعطي مؤشر على حجم الضرر الذي لحق بالتركيبة السكانية والذي كان من بين أسبابه هو ارتفاع معدلات الهجرة خارج البلاد. كما يلاحظ من خلال الجدول السابق أن هناك تزايداً في متوسط عدد أفراد الأُسر الليبية في سنوات ما بعد الاحتلال الإيطالي نظراً لتحسن مستويات المعيشة والأوضاع الصحية وانتهاء عمليات الهجرة ورجوع عدد كبير من المهاجرين الليبيين من الدول الأخرى، أي كلما تقدمت السنوات زاد حجم الأسرة الليبية، من 4 أفراد في أول تعداد إلى 6 أفراد في أخر تعداد لعام 2006م.

كما يتضح من خلال الشكل البياني رقم (2) أن عدد أفراد الأسرة الليبية في أول تعداد سكاني بعد فترة الاحتلال الإيطالي وذلك في سنة 1954م بلغ 4 أفراد، ووصل عددهم الإجمالي إلى 42443 فرد، ومن هم عددهم 3 أفراد في الأسرة وصل العدد الإجمالي لهم إلى 41218 فرد، بينما يتناقص العدد في الأسر من هم عدد الأفراد فيهم وصل إلى 5 أو 6 أفراد فما فوق وذلك نتيجة لأن الوضع في ليبيا كان متدني صحياً واقتصادياً بسبب الاحتلال الإيطالي والحرب العالمية الثانية، وهذه الأرقام تعكس مدى انخفاض معدلات النمو السكاني في ليبيا بسبب عمليات

الهجرة وتدني الظروف المعيشية والرعاية الصحية في فترة الاحتلال الإيطالي وغيرها من العوامل.



الشكل رقم (2) متوسط حجم الأُسَرْ الليبية فترة الاحتلال الإيطالي[33].

وبناءً على ما سبق يتضح أن لعمليات الهجرة إبَّان الاحتلال الإيطالي أثر كبير على تغير التركيبة السكانية في ليبيا من حيث النوع والعمر حيث وصل عدد المهاجرين من الذكور إلى حوالي 27397 نسمة وعدد المهاجرات من الاناث حوالي 10042 نسمة[34] ويمكن بيان ذلك على النحو التالي :

1. فئة صغار السن (أقل من 14 سنة):

تمثل فئة صغار السن قاعدة الهرم السكاني، وتتأثر كثيراً بعاملي المواليد والوفيات، ومدى توافر الخدمات الصحية، والسكن المناسب والتغذية السليمة[35]، وهذه الفئة يعتمد عليها في بناء القوة السكانية، وقد تبين من خلال هذه الدراسة أن هذه الفئة أكثر تضرراً من عمليات الهجرة خلال فترة الاحتلال الإيطالي من حيث تناقص عدد المواليد وارتفاع عدد الوفيات مما أثر سلباً على قاعدة الهرم السكاني في ليبيا، وأدى ذلك إلى انخفاض في معدلات النمو السكاني بشكل كبير وهذا ما أكدته الإحصائيات السكانية التي أجريت أثناء وبعد فترة الاحتلال الإيطالي، حيث وصل معدل النمو السكاني في ليبيا في سنة 1954م إلى حوالي 1.9%

2. **فئة البالغين (متوسطي السن ما بين 15-64 سنة):**

أظهرت نتائج هذه الدراسة أن أكبر نسبة من المهاجرين إبَّان فترة الاحتلال الإيطالي كانت من فئة البالغين ومن الذكور والاناث. حيث تعتبر هذه الفئة المسؤولة عن عمليات الإنجاب وارتفاع معدلات الخصوبة؛ وبالتالي كان لانخفاض نسبة هذه الفئة تأثير بالغ في تناقص عدد السكان وتغير التركيبة السكانية في ليبيا. ووصل أكبر تقدير لأعداد المهاجرين الليبيين حسب ما ذكر محمود الشنيطي أن عدد المهاجرين الليبيين يقدر بنحو 200 ألف مهاجر؛ وهذه الأعداد الكبيرة لها تأثير كبير على تغير التركيبة لأنها تجمع كل الفئات العمرية بنوعيها (ذكور وإناث)، واتضح ذلك في انخفاض متوسط حجم الأسرة الليبية إلى فردين وأقل للأُسرة الواحدة.

12.1 النتائج :

من بين أهم النتائج التي توصل اليها هذ البحث ما يلي:

1. أن عمليات الهجرة خلال فترة الاحتلال الايطالي تعتبر من أهم العمليات التي أدت الى تغير التركيبة السكانية في ليبيا من الناحية العمرية والنوعية وساهمت بشكل كبير ومباشر في انخفاض معدلات النمو السكاني.
2. أن هناك اختلافاً بين الباحثين والدراسات السابقة والمصادر التاريخية بشأن عدد المهاجرين خلال فترة الاحتلال الايطالي ويصل أكبر تقدير لهم إلى حوالى 200 الف شخص من مختلف الاعمار وشمل كلاً من الجنسين الذكور والاناث.
3. أن عمليات الهجرة كانت بشكل اساسي من ليبيا إلى الدول المجاورة المتمثلة في تونس ومصر والجزائر والسودان وتشاد والنيجر بالإضافة إلى بعض الدول الاخرى مثل سوريا وتركيا.

4. أظهرت نتائج هذه الدراسة أن معظم المهاجرين اللبيين خلال فترة الاحتلال الإيطالي كانوا من الفئة العمرية ما بين 15-64 سنة وهي الفئة المسؤولة عن عمليات الإنجاب وارتفاع معدلات الخصوبة، كما تبين ايضاً أن فئة صغار السن (أقل من 14 سنة) هي الأكثر تضرراً من عمليات الهجرة التي ادت الى تناقص عدد المواليد وارتفاع عدد الوفيات حيث وصلت إلى 27% في عام 1954م(36). وهذا يدل على أن قاعدة الهرم السكاني ضعيفة مقارنة بالسنوات اللاحقة مما أثر سلباً على قاعدة الهرم السكاني في ليبيا وساهم في تدني حاد في معدلات النمو السكاني.
5. ان السبب الرئيسي لعمليات الهجرة من ليبيا خلال فترة الاحتلال الإيطالي كان هو الخوف من القتل والنفي والتجنيد والاعتقال والتشرد وسوء الأوضاع الصحية والمعيشة وسيطرة إيطاليا على كافة مقدرات الليبيين من أراضي زراعية وممتلكات ومرافق أساسية وأعمال تجارية، وما صاحبها من عمليات الاستيطان البشري.
6. ان نتائج هذه الدراسة تدعم نظرية التحول الديموغرافي التي تنص على أن الحروب والنزاعات وما ينتج عنها من عمليات هجرة ونزوح لها تأثير كبير على التركيبة السكانية للبلدان.

13.1 التوصيات:

بناءً على النتائج التي توصل اليها يقدم هذ البحث التوصيات التالية:

1. يوصي هذا البحث المنظمات المهنية والهيئات والمؤسسات الحكومية المهتمة بمجال السكان والتوثيق في ليبيا مثل مركز جهاد الليبيين والهيئة العامة للتوثيق والإحصاء على بدل المزيد من الاهتمام بالأبحاث الاكاديمية المتعلقة بالتركيبة السكانية والاستفادة منها من أجل دعم وزيادة الفهم المعرفة وتوفير المزيد من المعلومات في هذا المجال.

2. يوصي هذا البحث الباحثين والمتخصصين في مجال جغرافيا السكان بإجراء المزيد من الابحاث والدراسات في هذا المجال من أجل التعرف على أثر عمليات الاحتلال الإيطالي الاخرى وغيرها من العوامل على التركيبة السكانية في ليبيا والتي لم يتم تناولها بالدراسة في هذ البحث.

هوامش البحث:

(1) جمال حمدان، دراسة في الجغرافية السياسية، القاهرة، مكتبة مدبولي، الطبعة الأولى، 1996م، ص33.

(2) الهيئة العامة للتوثيق والمعلومات، التعداد السكاني في ليبيا، 2006م.

(3) عمر رمضان حمودة، التيار القومي في ليبيا وأثره في الحركة الوطنية 1943م- 1969م، أطروحة دكتوراه، 2010م، ص66.

(4) المصدر السابق، ص69.

(5) مختار محمد مختار الحسانين، سكان مركز ميت غمر، رسالة مقدمة لنيل درجة الماجستير في الآداب، قسم الجغرافيا، كلية التربية جامعة المنصورة،2011، ص33-34.

http://www.ahewar.org 6

(7) المصدر السابق.

(8) المصدر السابق.

(9) ارويعي محمد قناوي، الكفاح الوطني للمهاجرين اللبيين ضد الغزو الإيطالي (1911-1945م)، اطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم التاريخ، جامعة قاريونس، بنغازي، 1993م، ص26.

(10) مصطفى حامد ارحومة، التضامن العربي الإسلامي مع المقاومة الليبية ضد الغزو الإيطالي لليبيا (1911–1931م)، الجزء الاول، اطروحة دكتوراه، جامعة محمد الخامس، المغرب، 1419هـ/ 1998م.

(11) السيدة المهدي سعيد أبوالقاسم، صور الحياة الاقتصادية والاجتماعية والصحية في ليبيا أثناء الغزو الإيطالي (1911م–1915م)، رسالة ماجستير، قسم التاريخ الحديث، 2007م.

(12) محمد الطوير، ملامح من الحياة الاجتماعية في ليبيا خلال الاحتلال الإيطالي، مركز دراسة جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، طرابلس، مجلة الشهيد، العدد الرابع، 1983م.

(13) رفيق محمد الدياسطي، الهجرة الخارجية الوافدة وأثرها على سكان مدينة أوباري، قسم الجغرافيا، جامعة الكويت، مطابع المجموعة الدولية، الكويت، الطبعة الاولى،2007م، ص6.

(14) ارويعي محمد قناوي، مرجع سبق ذكره، ص10.

(15) أحمد علي إسماعيل، أسس علم السكان وتطبيقاته الجغرافية، القاهرة، دار الثقافة للنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، 1997م، ص95.

(16) المصدر السابق، ص96.

(17) رفيق محمد الدياسطي، مرجع سبق ذكره، ص4.

(18) المصدر السابق، ص11.

(19) ارويعي محمد قناوي، مرجع سبق ذكره، ص14.

(20) المصدر السابق، ص15.

(21) أحمد زارم، مذكرات أحمد زارم، طرابلس/ تونس، الدار العربية للكتاب، الطبعة الاولى، 1979م، ص23.

(22) نيكولاي ايليتش بروشين، تاريخ ليبيا في نهاية القرن التاسع عشر حتى 1911م، تعريب، عماد حاتم، مراجعة ميلاد المقرحي، طرابلس، مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي، 1988م، ص36.

23 http://www.libyaforum.org.

(24) الهادي أبو لقمة، دراسات ليبية، بنغازي، مكتبة قورينا للنشر والتوزيع، 1975م، ص165.

(25) خليفة التليسي، معجم معارك الجهاد في ليبيا، بيروت، دار الثقافة، الطبعة الاولى، 1972م، ص88.

(26) ارويعي محمد قناوي، مرجع سبق ذكره، ص 22.

(27) المصدر السابق، ص17.

(28) محمد الطوير، مرجع سبق ذكره، ص162.

(29) مصطفى حامد ارحومة، مرجع سبق ذكره، ص522.

(30) نيكولاي ايليتش بروشين، مرجع سبق ذكره، ص36.

(31) سعيد الجنديري، المرأة في حركة الجهاد العربي الليبيي 1911-1932م، قسم التاريخ، جامعة قاريونس، مجلة الشهيد، طرابلس، مركز جهاد الليبيين، العدد الثاني عشر-الثالث عشر، 1991-1992 م، ص65.

(32) الهيئة العامة للمعلومات، التعداد السكاني في ليبيا، 1954م، 1964م، 1973م، 1984م، 1995م، 2006م.

(33) الهيئة العامة للمعلومات، التعداد السكاني في ليبيا، 1954م.

(34) المصدر السابق.

(35) فتحي محمد أبو عيانة، دراسات في الجغرافية السياسية، القاهرة، دار النهضة العربية للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الاولى، 1988م، ص87.

(36) الهيئة العامة للمعلومات، التعداد السكاني في ليبيا، 1954م.